

٢٠- تداعيات الحرب على المجتمع الإسرائيلي وكيف أثرت على إعادة النظر في مفهوم الأمن الإسرائيلي

أ. أمجد أحمد جبريل (*)

الهزائم الكبيرة غالبًا ما يكون لها تأثير إيجابي؛ لأنها تقود المجتمع إلى ممارسة النقد الذاتي، وإلى التمعن في أوضاعه، وتجعله أشدّ وطنية واستعدادًا للتضحيات. أما الانتصارات فلها تأثير عكسي؛ حيث تقود في الغالب إلى التلذذ بالأوهام وإلى الكبرياء المفرطة؛ لذلك فإن الانتصارات الكبيرة خطر يصعب على الشعب تذليله أكثر مما يصعب عليه تذليل الهزائم.

ناحوم جولدمان^(١)

مقدمة

في ١٥/١١/٢٠٠٦ قتل صاروخ فلسطيني من طراز «قسام» إسرائيلية في مدينة سدبيروت جنوب إسرائيل، كما أصاب اثنين آخرين بجروح خطيرة. وقد وقفت حكومة إيهود أولمرت عاجزة عن فعل أي شيء سوى الإقرار بأن الجيش الإسرائيلي لا يملك «حلا سحريًا» لوقف سقوط قذائف القسام؛ لأن الحرب على القسام ليست من الحروب التي يمكن فيها توجيه ضربة عسكرية قاضية «ونقول انتهينا»^(٢).

وبرغم أن طيران العدو الإسرائيلي قد شنّ خمس غارات جوية بعد ساعات قليلة على قطاع غزة، إلا أن المقاومة الفلسطينية عادت لإطلاق صاروخين آخرين في اليوم التالي مباشرة^(٣).

(*) باحث في العلوم السياسية.

وعلى حين كان العجز هو حيلة الحكومة الإسرائيلية وقوات الاحتلال؛ بادر الملياردير الإسرائيلي - الروسي الأصل - أركادى غايدماك إلى تأجير حافلات لنقل أكثر من ألف شخص من سكان سديروت إلى الراحة والاستجمام فى فنادق إيلات . وكان إبان الحرب على لبنان قد فعل الشيء نفسه؛ حيث استقدم آلاف الإسرائيليين من البلدات الشمالية التى كانت تتعرض للقصف الصاروخى إلى جنوب إسرائيل، وكل ذلك من ماله الخاص^(٤).

ثمة أربعة أمور تلفت الانتباه فيما تقدم، وهى تكاد تلخص حالة الدولة والمجتمع فى إسرائيل بعد العدوان الأخير على لبنان (٧/١٢ - ٢٠٠٦/٨/١٣)؛ الأمر الأول: عجز واضطراب حكومة أولمرت وعدم جدوى لجوئها المتكرر لاستخدام القوة العسكرية لإنهاء نشاط المقاومة الشعبية العربية الذى تقوده الآن حركتان إسلاميتان هما حزب الله وحماس .

الأمر الثانى: هو ظهور وظيفة إستراتيجية جديدة لسلاح الصواريخ بحيث لا يكون بمقدور القوات الجوية الصهيونية إيقافه، وتضطر إسرائيل عندها لخوض معركة برية إذا كان الهدف هو إزالة خطر الصواريخ؛ مما يؤدى لاستنزاف القوات البرية فى حرب عصابات لم تألفها أو تستعد لها^(٥).

أما الأمر الثالث: فيخص النفوذ المتصاعد لقطاع اليهود الروس الذى يتحرك بفاعلية محافظاً على سمات خاصة تميزه عن فئات الدولة الأخرى من الإشكناز والسفارديم والفلاشا والعرب . وربما يكون تعيين أفيغدور لبرمان زعيم حزب «إسرائيل بيتنا» فى منصب وزير الشؤون الإستراتيجية مؤشراً إضافياً على تنامى نفوذ قطاع اليهود الروس وبروز قياداته من أمثال ناتان شارانسكى وأركادى غايدماك^(٦).

يحدث هذا كله فيما يشهد المجتمع الإسرائيلى منذ اندلاع انتفاضة الأقصى على الأقل تغييرات كبيرة؛ حيث تعثره - وهذا هو الأمر الرابع: حالة من الانحلال السياسى الأخلاقى تتجلى فى عدة مظاهر: تزايد التوجه نحو اللذة فى المجتمع، ونفشى النزعة الاستهلاكية وتقليد أسلوب الحياة الأمريكى، وارتفاع نسب العنف والجريمة والطلاق، إضافة إلى سيادة دوافع انتهازية لدى النخب السياسية/ البرلمانية الباحثة عن المال والنفوذ حتى لو تعارض ذلك مع مصالح الدولة، بالتوازي مع انتشار الانغلاق الوطنى الذى يأخذ بتلايبب المجتمع إلى ترسيخ نظام فصل عنصري «أبارتهيد».

من المهم في سياق استعراض أوضاع الداخل الإسرائيلي بعد العدوان الأخير على لبنان الإشارة إلى عدة ملاحظات منهجية لا يستقيم التحليل بدون التمعن في مغزاها ودلالاتها:

أولها: إن هذا الجهد البحثي لا يتجاوز القراءة الأولية التي تحاول استكشاف موضوعها، ولا تدعى مطلقاً الإحاطة بكل جزئياته وتفصيله، لا سيما أن الظاهرة محل البحث ما زالت قيد التطور؛ مما يحجب إمكانية وصف جميع جوانبها، وكما يقولون فإن «المعاصرة حجاب».

وثانيها: إن هذه الحرب التي امتدت ثلاثة وثلاثين يوماً كاملة لم تكن حدثاً عسكرياً وسياسياً عادياً، وإنما عبّرت عن لحظة فاصلة بحيث يمكن الحديث عما قبل العدوان على لبنان وما بعده؛ ومن ثمّ يجوز إدراجه (أى العدوان) ضمن الأحداث الكبرى في مسار الصراع العربي/ الإسرائيلي؛ مثل عدوان ١٩٦٧، وحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣، وغزو لبنان ١٩٨٢، والانتفاضة الفلسطينية الأولى ١٩٨٧، ثم انتفاضة الأقصى.

ويبقى تقسيم مسار هذا الصراع الممتد إلى مراحل ذات بداية أو نهاية محددة أمراً اجتهادياً. ولكن أياً كان من يقوم بهذا التقسيم فليس بوسعه أن يتجاهل أهمية هذا الحدث بعينه، الذي سمّاه البعض بحق «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»^(٧). ويرجع ذلك إلى: حساسية التوقيت الذي اندلعت فيه الحرب، وطبيعة التكتيكات والإستراتيجيات العسكرية التي استخدمها طرفا الحرب المباشرين، وحجم التداخل بين العوامل المحلية والإقليمية والدولية في هذه الحرب.

ثالثها: ليس من المبالغة القول إن كثيراً من تداعيات تلك الحرب لم تنجل بعد، فمن شأن الحروب دائماً أن تعيد تشكيل الواقع السياسي والاقتصادى والاجتماعى للأمم والشعوب لعشرات السنوات، ولا يجب أن يستغرب المرء توالى صدور العديد من المؤلفات عن حروب مرّ عليها نصف قرن أو يزيد في قراءات جديدة لأحداثها ونتائجها وآثارها على موازين القوى الإقليمية والدولية^(٨). وهذا تنبيه على ضرورة مراجعة تداعيات حرب لبنان مرة بعد مرة، بعدما تمرّ السنوات وتتكشف وثائق الحرب.

ورابعها: إن من الضروري تحرى الدقة البالغة في مسألة المصطلحات المستخدمة لوصف نتائج الحرب، ويجب على الدراسات العلمية التي تتصدى لمثل هذا الموضوع العناية بمعايير الحكم على الأشياء وتدقيق المصطلحات. وبالرغم من ذلك يمكن القول إن

الجدل الداخلي في إسرائيل بعد الحرب يؤكد فشلها في تحقيق أهدافها حتى بعد أن تمّ تقليص تلك الأهداف؛ من كسر قوة حزب الله وتفكيكه ونزع سلاحه، إلى الاكتفاء بإضعافه وإبعاده إلى ما وراء نهر الليطاني. وبعدما تبين أن كسر قوة الحزب أمر غير ممكن التحقيق لجأ البعض إلى بلورة غطاء سياسى جديد للحملة العسكرية؛ ألا وهو تنفيذ القرار ١٥٥٩^(٩).

لكن من باب الأخذ بالأحوط يجب وضع الحرب في سياق مقارن - خصوصاً بمقارنتها بحرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ - مع مراقبة السلوك اللاحق للطرفين العربي/ الإسرائيلي، فمن الممكن أن يُعدّل الطرف المهزوم سلوكه، ويعيد ترتيب أوراقه وأوضاعه للالتفاف على النتائج العسكرية المباشرة للحرب؛ وهو أمر يتوقف على قدرات الطرفين في إدارة الموقف بعد توقف القتال. بيد أن ذلك لا يمنع من الادعاء أن جميع المغامرات العسكرية التي ستخوضها إسرائيل مستقبلاً ستكلفها خسائر متصاعدة بفضل تحسّن أداء المقاومة العربية وقدراتها. وبعبارة أخرى فإن حرب يونيو/ حزيران ١٩٦٧ كانت التزهة الأولى والأخيرة لإسرائيل. ومن متابعة الخط البياني للصراع المسلح بينها وبين العرب يمكن ملاحظة أن مرحلة ما بعد عام ١٩٦٧ تختلف عن كل ما سبقها من مراحل؛ حيث تترد إسرائيل بالتدريج إلى حجمها الطبيعي، وتنكفي إلى الداخل بدلاً من التوسع خارج فلسطين التاريخية، ويصبح أمنها أكثر عرضة للتهديد، خصوصاً في عمقها الإستراتيجي^(١٠).

وخامسها: هناك أهمية خاصة لتزايد الخسائر البشرية الإسرائيلية مع تطور نوعية المواجهات العربية/ الإسرائيلية؛ فعلى حين لم يزد حجم الخسائر الإسرائيلية في الأرواح في جميع الحروب التي خاضتها ضد العرب منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ عن ستة آلاف فقط، فإن التقديرات الفرنسية والأمريكية لخسائر إسرائيل في حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣ على الجبهتين المصرية والسورية تصل إلى عشرة آلاف قتيل. أما تقدير وكالة رويترز فيشير إلى ثمانية آلاف، لكن التقدير الإسرائيلي المعلن هو ٧٥٩ فرداً^(١١).

ومهما يكن من أمر، وحتى لو أخذنا بأقل هذه الأرقام؛ فيجب أن لا نغفل عن القيمة الإستراتيجية للعنصر البشري أو العامل الديموغرافي في الصراع العربي/ الإسرائيلي؛ فخسارة شخص واحد بالنسبة لإسرائيل تعنى الكثير، ناهيك عن أن يكون عسكرياً مدرباً. وربما يفسّر ذلك سبب احتفاء الدولة بقدوم بضعة مئات من المهاجرين من أصول مشكوك

فى يهوديتها من الهند أو أمريكا اللاتينية، حتى إن أعلى مسئول فى الدولة لا يتردد فى المشاركة فى احتفالات استقبال المهاجرين الجدد.

ومن الواضح أن حسم الصراع العربى/ الإسرائيلى يرتبط بالعنصر البشرى ونوعيته وتأهيله واستعداده، وهو عنصر يؤثر على المكونات الأخرى للصراع مثل الأرض والهوية. نقول هذا حتى لا يستخف أحد بمقتل مستوطن أو جندى على يد مقاومة شعبية تعلن استهدافهما لأنهما يمارسان فعل «الاحتلال وقهر الآخرين». وهذا يؤكد أن سقوط قرابة ٢٠ قتيلًا و١٢٠ جريحًا من الجنود والضباط الإسرائيليين، وتدمير ٣٩ دبابة وجرافة إسرائيلية فى يوم واحد (وهو اليوم الثانى والثلاثين من العدوان ١٢/٨/٢٠٠٦ أثناء أكبر محاولة إنزال إسرائيلية بعد حرب أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧٣) هو حدث يتجاوز دلالاته الرقمية إلى دلالات أخرى أكثر عمقًا^(١٢).

وسادسها: ربما يصعب إدراك أو فهم مجمل التداعيات على الداخل الإسرائيلى نتيجة للعدوان الأخير على لبنان بدون استحضار المعنى التراكمى لهذه التداعيات، وضمه إلى ما سبقها من نتائج وتأثيرات، خصوصاً فى صراع إسرائيل مع الشعب الفلسطينى وقواه المقاومة على مدى انتفاضتى ١٩٨٧ و٢٠٠٠؛ مما يعنى أن الحرب على لبنان تكشف عن تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية موجودة بالفعل فى إسرائيل، لكن هذه الحرب أظهرتها بشكل أوضح للعيان بفعل كفاءة مؤسسة حزب الله - قيادة وعناصر - فى إدارة الصراع مع إسرائيل، وتكثيف فعل المقاومة لفترة طويلة نسبياً.

فى إطار هذه الملاحظات المنهجية يمكن أن نقسم تداعيات الحرب على الداخل الإسرائيلى إلى ثلاثة مستويات: التداعيات على مستوى المجتمع وقيمه وهويته، والتداعيات على نظرية الأمن الإسرائيلى واتجاهات إعادة تعريف الأمن بعد الحرب على لبنان، والتداعيات على التوجهات السياسية الإسرائيلية، وأخيراً تناول الخاتمة احتمالات إحياء عملية التسوية والسياسة الإسرائيلية حيالها.

أولاً: التداعيات على صعيد المجتمع وقيمه وهويته

أدخل العدوان الإسرائيلى الأخير على لبنان (١٢/٧ - ١٤/٨/٢٠٠٦م) المجتمع الإسرائيلى فى خضم أزمة عميقة لما تتضح أبعادها الكلية بعد؛ فالخسائر البشرية فى

صفوف جيش الاحتلال الإسرائيلي التي ناهزت المائة قتيل؛ تمثل رقماً ضخماً نسبياً لم تألفه إسرائيل في حروبها السابقة، والهيبة العسكرية الإسرائيلية - لابل نظرية الأمن القومي برمتها - تلقت ضربة مؤثرة بفضل صمود رجال المقاومة، واستمرار القدرة الصاروخية لحزب الله حتى لحظة توقف القتال، والتجاذبات السياسية الإسرائيلية الداخلية بلغت ذروتها، حتى شملت المستوى العسكري ذاته.

بعد العدوان لم يعد المجتمع الإسرائيلي كما كان قبله، وهناك الآن من يتحدث عن حالة «اكتئاب قومي» تضغط على الدولة والمجتمع، وثمة حالة من الأنانية تسيطر على أفراد المجتمع، وتدفع بمفهوم «المصلحة الجماعية الإسرائيلية» إلى الهامش، وهناك تدهور في القيم واضطراب في تحديد اتجاه الحركة المستقبلية، وثمة أزمة مستحكمة تتمثل في غياب القيادات المؤهلة لتصرف شؤون الدولة؛ فالقيادات الحالية تلاحق بعمليات فساد، وسوء استغلال للسلطة، باختصار هناك صيرورات هدامة داخل المجتمع الإسرائيلي؛ مما يجعل مستقبل الدولة سوداويًا ومظلمًا (**).

وفيما يلي سنتناول بعض هذه القضايا، فعلى سبيل المثال بات شائعاً أن يجري الحديث عن هوية الدولة والمجتمع مع تكرار المواجهات العربية مع إسرائيل.

وكان شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء قد اعتبر في ٢٥/٧/٢٠٠٦ أن الحرب التي تخوضها الدولة في لبنان هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لإسرائيل، فإما نحن وإما حزب الله. وخاطب اللبنانيين بقوله أنتم أيضاً ليس لديكم خيار، فإما أنتم وإما حزب الله. والحرب اليوم مأساة لبنانية نتجت عن المطامع الإيرانية^(١٣).

الخطاب الإسرائيلي الذي رددته المسئولون الرسميون والصحفيون طيلة الحرب وبعدها ركّز على أن «الديموقراطية الإسرائيلية تواجه عدواً ظلامياً يستهدف المدنيين بشكل وحشي». وقد تحمّس الليبراليون الإسرائيليون لهذه الحرب معتبرين دولتهم جزءاً من قوى الخير العالمية في مواجهة قوى الشر، وكانوا سعداء بأن الحرب وضعتهم بشكل واضح إلى جانب معسكر الغرب في مواجهة الأصوليين في غزة ولبنان وإيران، خصوصاً أن «العرب المعتدلين» أبدوا امتعاضاً من «مغامرة» حزب الله بخطف الجنديين الإسرائيليين».

وبصفة عامة يبدو أن الحرب على لبنان نجحت في خلق حالة من الاصطفاف اليهودي الداخلي، بغض النظر عن التمايزات العلمانية/ الدينية في إسرائيل، وهذا لا ينفي بانطباع

بقاء أقلية هامشية تتقد قرار الحرب «التي تجعل الجيش يظهر مثل زعران الحارات، فحينما يختطف جندي في غزة تدفع غزة كلها الثمن، وعندما يُقتل ثمانية جنود ويختطف اثنان يدفع لبنان كله الثمن (. . .)، وبذلك لا تميّز إسرائيل مرة أخرى بين الحرب العادلة ضد حزب الله والحرب غير العادلة ضد الشعب اللبناني (. . .). لقد خرجت إسرائيل للحرب من أجل أن يتذكر الناس اسم عمير بيريتس إلى الأبد، فهي حرب تخليد اسم بيريتس من أجل طمس إخفاقات دان حالوتس»^(١٤). لقد عكست الحرب حاجة إسرائيل الدائمة إلى العنف المؤسساتي الذي يستلزم الاستعداد الدائم للحرب الشاملة، وللاستعمال المنظم للعنف، أو ممارسة «إرهاب الدولة» بغرض توفير الاستمرارية للمبداين الرباطين للجماعات اليهودية؛ وهما المبدأ الثقافي لليهودية، ومبدأ الأمن.

إن تشظى هوية المجتمع الإسرائيلي التي ازدادت وضوحاً بعد تراجع سيطرة النخبة الإشكنازية وعجزها عن إقامة مجتمع ينسجم مع رؤيتها؛ يدفع في اتجاه تقوية الثقافة والهويات الفرعية الست التي تكشفت بوضوح تام بعد إعلان نتائج انتخابات الكنيست الرابعة عشرة أواخر آيار/ مايو ١٩٩٦ وهي (بدون ترتيب):

- الثقافة المدنية ذات النزعة العالمية التي تستند إلى طبقة وسطى إشكنازية.

- الثقافة الدينية/ القومية ونواتها الصلبة في المستوطنات.

- الثقافة الأصولية الحريدية.

- الثقافة التقليدية الشرقية (السفاردية).

- ثقافة المهاجرين الروس.

- الثقافة العربية وقاعدتها عرب ٤٨.

«وفي وجه جميع هذه الثقافات الفرعية الواضحة الحدود هناك نوع من «ثقافة إسرائيلية» عامة ومفسخة وغير واضحة المعالم والمضامين الاجتماعية بما فيه الكفاية؛ وهي الثقافة الصهيونية التي كانت سائدة يوماً ما، وبالذات بين سنتي ١٩٤٨ و١٩٧٧، وتصدّعت سيطرتها المهيمنة سنة ١٩٧٧، ثم تحطمت سنة ١٩٩٦. وداخل هذه الثقافة يُفترض أن تتعايش معاً اليهودية كدين وقومية، والإسرائيلية بحكم المولد (Nativism) وغير المولد، إضافة إلى الصهيونية بمختلف أنواعها»^(١٥).

بالطبع هناك تأثير واضح لضعف الجامع اليهودي / الصهيوني، و بروز العامل الديموغرافي على السياسة الإسرائيلية في مجالى الأمن والتسوية، ويبدو أن تكثيف استخدام الأداة العسكرية يهدف أساساً إلى تقوية هذا الجامع؛ فالتصعيد العسكرى يمكن أن يكتل الداخل الإسرائيلى خلف قياداته (وقد حدث ذلك تكررأ أثناء رئاسة شارون للوزارة).

وكان يحزقيئيل درور (الأستاذ فى الجامعة العبرية فى القدس) قدّم ورقة عنوانها «الأسس الداخلية للأمن القومى لدولة إسرائيل» فى مؤتمر هيرتزليا الأول (١٩ - ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٠)، وتحدث فيها عن عدة أسس رئيسة للأمن القومى الإسرائيلى، منها:

- إرادة يهودية/ صهيونية .
 - انخراط فى الشعب اليهودى .
 - مجتمع مجتد .
 - استعداد للقتل والموت ، مع التطلع إلى السلام (نوعية آراء الجمهور).
 - تضامن اجتماعى .
 - كتلة سكانية متعلمة وتمتلك المعرفة وميالة إلى التقنية والعلم .
 - نظام حكم وسلطة .
- وركّز درور على عنصر الإرادة اليهودية/ الصهيونية باعتبارها الأساس الداخلى الأكثر أهمية للأمن الطويل المدى لإسرائيل .
- ويتوقف على هذه الإرادة إمكان تجنيد السكان فى إسرائيل ، واستعدادهم للقتل والموت فى سبيل الحفاظ على الدولة .

وقال درور: «إن أهم ما يمكن أن يعلمه لحفيدته هو كيف تقاتل وتقتل ، وحتى تموت فى سبيل إسرائيل»^(١٦).

على صعيد آخر أسهمت حرب لبنان فى إعادة تأكيد فلسطينى ٤٨ على هويتهم العربية، فقد نشر النائب العربى محمد بركة مقالة فى صحيفة يديعوت أحرونوت (٦ / ٨ / ٢٠٠٦) تناول فيها محنة عرب ٤٨ النفسية جراء الحرب الدائرة بين إسرائيل وحزب الله، ودعوتهم إلى وقفها فوراً .

وقال بركة إن رؤية بلد يحبه عرب إسرائيل يتعرض للدمار على يد سلاح الجو الإسرائيلي «أمر مؤلم»، وشدد على ضرورة أن يعي الجمهور الإسرائيلي حيرة عرب ٤٨؛ لأن «البلد الذي هم فيه مواطنون يحارب الشعب الذي هم إليه يتمون»، وختم بالقول: إننا عرب فلا توقعوا منا أن نكون مسرورين عندما يتعرض إخواننا العرب للقتل^(١٧).

وقد يكون حرص عرب ٤٨ على إبراز هويتهم في هذه المناسبة هو سبب هجوم يهود أولمرت على رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي النائب عزمى بشارة بالقول: إننى قلق من تصرف القيادات السياسية لعرب إسرائيل (. . .) وسلوك عزمى بشارة ورفاقه لا يُحتمل. ورداً على الطرح السياسى للتجمع قال أولمرت: «أعارض بشدة أن تتحول إسرائيل إلى دولة لكل مواطنيها. إسرائيل دولة صهيونية يهودية، وستبقى كذلك إلى الأبد. . . سأعارض بشدة كل تغيير فى تعريف طابع الدولة»^(١٨).

إضافة إلى ذلك هاجمت بعض المقالات الصحفية موقف فلسطينى ٤٨ من الحرب على لبنان، واستعادت ذكريات تضامنهم مع فلسطينى الضفة وغزة عندما اندلعت انتفاضة الأقصى فى ٢٨/٩/٢٠٠٠، وسقط ثلاثة عشر مواطناً من عرب ٤٨ فى مصادمات مع الشرطة الإسرائيلية؛ وهو ما عُرف بهبة أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٠. وتساءل عوزى بنزيمان فى مقالة نشرتها صحيفة هآرتس عن مدى قدرة اليهود والعرب فى إسرائيل على العيش معاً، وقال: «لقد تجاوز عرب إسرائيل الخطوط خلال الحرب الأخيرة؛ فلم يترددوا فى الكشف صراحة عن تضامنهم مع العدو، وتفضيل ارتباطهم به على التزامهم تجاه الدولة التى هم مواطنون فيها (. . .). إن التصادم بين ولاء المواطنين العرب لإسرائيل وبين ارتباطهم بالأمة العربية - وليس فقط بالشعب الفلسطينى - أخذ فى التفاقم. وأساس هذا التصادم يتمثل فى رفضهم مشروعية الفكرة الصهيونية، وهو الرفض الذى تقويه وتدعمه سياسة الظلم الحمقاء والأئمة للحكومات الإسرائيلية المتعاقبة»^(١٩).

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول إن الحرب على لبنان أثرت فى الهوية الإسرائيلية فى جانبين على الأقل؛ أولهما: إعادة التأكيد على تمايز إسرائيل عن محيطها الذى يموج به الإرهاب الممتد من غزة إلى طهران مروراً بلبنان، بكل ما يعنيه ذلك من استدعاء وتعظيم الخطر الخارجى، بهدف رص الصف الداخلى الإسرائيلى، وتأكيد وحدة الخطر الذى يواجهه الدولة العبرية والغرب على حد سواء؛ مما يستوجب التعاون بين الطرفين للقضاء عليه قبل فوات الأوان. والآخر زيادة شقة الخلاف بين فلسطينى ٤٨ والدولة العبرية.

ثانياً: تأثير العدوان على لبنان في نظرية الأمن الإسرائيلي

بالرغم من صعوبة تحديد الأثر النهائي للحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان؛ فإنه بالإمكان تتبع بعض الاتجاهات العامة لتأثيرها في الأمن الإسرائيلي، من خلال تحليل بعض المقالات التي اهتمت بهذا الموضوع في الصحف الإسرائيلية.

لذلك فإن هذه الحالة تعتبر محاور أولية في بابها، ومن ثمَّ يجب إخضاع نتائجها لمراجعات متعددة بعد ظهور آثار تلك الحرب، وتداعياتها بشكل أوضح، وهو أمر يحتاج لفترة قد تطول أو تقصر، بحسب قدرة الأطراف العربية، ومدى استعدادها لتشكيل وحدات خاصة تستلهم نموذج حزب الله في القتال والمقاومة، خصوصاً في جزئيات بعينها؛ مثل: اعتماد نمط القتال المتحرك أو غير المركزي، الذي لا يتمسك بالسيطرة على الأرض؛ وإنما ينطلق من مبدأ «لكل نقطة مقاتلوها»، والسعى لاكتشاف مواطن ضعف جيش الاحتلال الإسرائيلي؛ بهدف زعزعة ثقة الولايات المتحدة بالقدرات العسكرية له، وإحراج الجيش، وإلحاق الأذى بصورته أمام المجتمع الإسرائيلي الذي لا يتحمل حرباً طويلة وخسائر بشرية مرتفعة. . إلخ.

يمكن تناول ذلك تفصيلاً عبر الأجزاء التالية: نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلي، ودوائر الأمن الإسرائيلي وقضاياها الرئيسية، واتجاهات تعريفه، وتأثير العدوان على لبنان في نظرية الأمن الإسرائيلي.

• نظرة عامة على مرتكزات نظرية الأمن الإسرائيلي

من نافلة القول التأكيد على أن نظرة إسرائيل لأمنها تختلف عن نظرة الدول الطبيعية لأمنها، فالكيانات الاستعمارية لديها «هاجس أمنى» يتخطى بكثير ما لدى الدول العادية؛ «فإسرائيل هي أمة تعيش في محنة كيانية، وهي طرف دائم في نزاع متواصل»، أو كما عبّر عن ذلك إسحاق رابين بمصطلح «الحرب الراقدة»؛ فإسرائيل تعيش في حالة «حرب راقدة»، حتى عندما لا توجد أعمال عدائية موجّهة ضدها بالفعل^(٢٠).

هناك ثلاثة مرتكزات أو أسس للنظرية الأمنية الإسرائيلية هي^(٢١):

١ - «نقل المواجهة إلى أرض الطرف العربى»

كما حدث فى كل الحروب التى بدأتها إسرائيل فى أعوام ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٨٢م، وكذلك فى قرار اجتياح الضفة الغربية أواخر مارس ٢٠٠٢م.

٢ - «الحرب الخاطفة»

حيث يتوجب على الجيش الصهيونى حسم المواجهة مع العدو، وإحراز نصر سريع؛ حيث لا يمكن الاستمرار فى زجّ قوات الاحتياط التى يقع عليها غالبية العبء الحربى أثناء الحروب فى ساحات المعارك لأمد طويل؛ لأن هذا يعنى شلّ الحياة فى الدولة العبرية، بما يؤثر سلباً على سير المعارك فى النهاية.

٣ - «إلحاق ضربة قاصمة بالعدو»

فتقصير أمد المواجهة يتطلب من الجيش الصهيونى توجيه ضربة قاصمة، ليس فقط للجيوش العبرية، بل للعمق المدنى العربى أيضاً، حتى يضطر الطرف العربى للاستسلام، والإذعان للشروط التى تضعها الدولة العبرية لوقف الحرب (وهذا يؤكد أن مذبحه «قانا ٢» فى ٣٠/٧/٢٠٠٦م، ومذبحه بيت حانون فى ٨/١١/٢٠٠٦م لم تحدثا نتيجة أخطاء فنية).

فى هذا السياق يمكن فهم التوجه الأمنى الإسرائيلى، الذى يقوم على افتراض أساسى هو الحاجة الدائمة لاستخدام القوة مع العرب؛ لأنهم لم يسلموا بوجود إسرائيل بينهم، وعلى إسرائيل أن تكون فى حالة تأهب كامل للحرب دائماً، وأن تخوض الحرب - إذا لزم الأمر - لإجهاض أى مخطط عربى لشن الحرب، أو تصعيد المقاومة الشعبية.

يقول موسى ديان فى مقالة بعنوان: «عمليات عسكرية فى زمن السلم»، نشرت فى سبتمبر ١٩٥٥م، ويشرح فيها منطق العمليات الحدودية الانتقامية، التى كانت إسرائيل تشنها على العرب: «هناك أهمية كبرى لنجاحاتنا وإخفاقاتنا فى العمليات الحدودية الصغيرة؛ وذلك ليس فقط لتأثيرها على الأمن الجارى؛ وإنما أيضاً بسبب تأثيرها على تقدير العرب لقوة إسرائيل، وعلى إيمان إسرائيل بقوتها»، فهناك دوافع وأهداف أخرى تحيط بعملية اتخاذ القرار للعمليات العسكرية ذات علاقة بنظرة إسرائيل لذاتها وثقتها بنفسها.

أما شيمون بيريز فقد أكد أن القوة الإسرائيلية وقوة الردع هي التي تجلب السلام في النهاية؛ لأنه بواسطتها يقتنع العرب بعدم صلاحية الأدوات العسكرية ضد إسرائيل^(٢٢).

إن سيطرة الهاجس الأمنى على المجتمع والدولة فى إسرائيل تعنى أن الأمن يحتل هناك مكانة «القيمة العليا التى لا تضاهيها قيمة»، يضاف إلى ذلك أن النزعة الأمنية الإسرائيلية تعبر عن حاجات داخلية، ولا تأتى استجابة لتحديات خارجية فقط، فهذه النزعة تمثل جزءاً من عملية بناء الأمة؛ لأنها نزعة وطنية وحدوية ينضوى تحت لوائها فى زمن الحرب حتى أولئك الذين يبدون كمعارضين لها، بل إنهم يسعون جاهدين لتبريرها عندما تقع المواجهات^(٢٣)؛ ولذلك فإن هدف إسرائيل الأساسى من أى حرب هو بلورة إجماع وطنى واسع حول إحباط التهديد الكيانى لوجود الدولة واستقرارها وأمنها، وهذا يُبرر القيام بعمليات وقائية عسكرية لحرمان الخصم من قدراته الهجومية، حتى لو لم يكن فى مقدور إسرائيل إقامة الدليل على وجود نوايا هجومية ضدها أصلاً، والمثل البارز لذلك هو الهجوم الإسرائيلى على المفاعل النووى العراقى فى يونيو ١٩٨١م^(٢٤).

• دوائر الأمن الإسرائيلى وقضاياها الرئيسية

تختصر إسرائيل التهديدات المحتملة ضد أمنها وسلامتها فى ثلاث دوائر^(٢٥):

١ - **الدائرة الداخلية**: التى تشمل فلسطين التاريخية من البحر المتوسط إلى نهر الأردن، ويحدث التهديد فى حال قيام أنشطة مقاومة أو حرب عصابات أو أشكال متطورة من الانتفاضة، أو إطلاق صواريخ فلسطينية نحو العمق الإسرائيلى . . . الخ . . . وقد يكون هذا المستوى من التهديد منخفض الحدة، ولكنه سيدفع إسرائيل إلى استخدام القوة بعنف لمنع تطور هذا التهديد أو تصاعده حدة.

٢ - **الدائرة التقليدية**: التى تضم الجيوش العربية، بدون تمييز بين ما هو قريب أو ما هو بعيد عنها، وبين الدول الموقّعة لاتفاقات سلام مع إسرائيل أو غير الموقّعة.

وهذه الدائرة مصدر لتهديدات تقليدية تشتمل على عمليات برية وجوية، وإذا حدث ذلك على إسرائيل أن تبادر بخوض حروب تقليدية، سواء على عدة جبهات فى آن واحد، أو على جبهة محدودة.

٣- الدائرة غير التقليدية: التي تمتد لتشمل جيوش كل الدول الشرق أوسطية، التي يمكن أن تستخدم - وهذا هو سبب تسميتها دائرة غير تقليدية - صواريخ باليستية من قواعد ثابتة أو متحركة، تحمل رءوساً تقليدية وغير تقليدية، وتشن حرباً صاروخية ضد أهداف عسكرية ومدنية في عمق أراضي إسرائيل، ومرافقها الإستراتيجية، ومؤخرتها المدنية.

في ضوء هذا التحديد الدقيق لمصادر التهديد المحتملة تبرز عدة قضايا رئيسة؛ وهي مطروحة للنقاش دائماً في موضوع الأمن الإسرائيلي، منها:

(أ) العلاقة الجدلية بين أمن إسرائيل ودرجة انخراطها في عملية السلام، والوتيرة التي تسير بها.

(ب) العلاقة بين الأمن الإسرائيلي، والتطورات الإقليمية والدولية مثل: صعود الإسلام السياسي، أو وجود نظم متشددة في موقفها من الدولة العبرية مثل: إيران ما بعد الثورة، والعراق في ظل حكم حزب البعث، أو حدوث انتشار صاروخي، وزيادة كميات الصواريخ ونوعياتها في المنطقة، أو انتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، خصوصاً في ظل سعي إيران لامتلاك سلاح نووي، وامتلاك باكستان له بالفعل.

(ج) كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلي: إما بالمزيد من التسلح، وتطوير القدرات العسكرية (وهو تيار متأثر بالمدرسة الواقعية في العلاقات الدولية)، أو تحقيقه من خلال علاقات تعاون إقليمي نشطة في كافة القضايا (وهو تيار أضعف كثيراً من السابق، ومن رموزه وزير الخارجية الأسبق موسى شاريت، وكذلك شيمون بيريز، الذي ما زال مؤمناً بهذا الطرح، ويعيد تشكيله من آن لآخر).

(د) كيف يؤثر قيام دولة فلسطينية مستقلة على الأمن الإسرائيلي؟

(هـ) العلاقة بين أمن إسرائيل، ومستوى العلاقة التحالفية مع الولايات المتحدة.

(و) العلاقة بين الأمن الإسرائيلي، والعامل الديموجرافي، وتدفق أو انحسار الهجرة اليهودية إلى البلاد^(٢٦).

يمكن القول إن جميع هذه القضايا السّت أثّرت بعد أن توقفت الأعمال العدوانية العسكرية الإسرائيلية على لبنان في ١٤/٨/٢٠٠٦م، وأحياناً دار النقاش حولها أثناء العدوان، ووصل إلى حد الاحتدام.

لكن من المهم جداً في هذا السياق إدراك أن ما أصاب مفهوم الأمن الإسرائيلي - سواء في بُعد الشخصى، أم في بُعد القومى الإستراتيجى - من ضرر لم يكن بفعل العدوان على لبنان فقط، وإنما هو حصيلة لتفاعل عدد من العوامل المركبة (مثل: عودة الشعب الفلسطينى إلى المقاومة، ولا سيما نمط العمليات الاستشهادية فى العمق الإسرائيلى، وتزايد قوة إيران، وامتلاكها أدوات تساوية جديدة بفعل الأخطاء الأمريكية المتراكمة فى العراق والمنطقة ككل... إلخ)؛ فعلى صعيد الأمن الشخصى كان القادة الإسرائيلون يشدّدون - وأحياناً يزايدون - على قيمة الأمن، إلا أن شعور الجمهور بفقدان الأمن والخوف على الحياة قد تزايد طيلة سنوات انتفاضة الأقصى، بسبب العمليات الاستشهادية التى شنّها الناشطون الفلسطينيون فى العمق الإسرائيلى (٢٧).

لكن هذا الشعور ارتفع إلى معدل غير مسبوق أثناء العدوان الأخير على لبنان؛ حيث تعالت أصوات النقد الداخلى الشديد بسبب إخفاق الدولة فى حماية مواطنى الشمال، الذين تعرضت مدنهم، ومستعمراتهم للقصف الصاروخى الكثيف.

يقول الكاتب الإسرائيلى إيتان هابر: «لقد تحطم فى الحرب الأخيرة على لبنان شىء ما أساسى؛ هو الثقة بين المواطن الإسرائيلى وحكومته وقياداته، وتخلّقت بينهما أزمة ثقة لم يسبق لها مثيل من قبل، حتى فى الساعات الصعبة، ما بعد حرب يوم الغفران؛ أى حرب أكتوبر ١٩٧٣م» (٢٨).

ولعله مما يزيد من رعب الكيان الصهيونى وقلقه - باعتباره مجتمعاً عسكرياً قائماً على القوة أساساً - ضموراً طاقاته الحربية مع مرور الزمن بفعل صمود المقاومة الشعبية فى لبنان وفلسطين، الذى يتزامن مع إصرار إيران على امتلاك تكنولوجيا نووية.

ولا يجب أن ننسى أيضاً تزايد القلق داخل إسرائيل بسبب العامل الديموجرافى الذى شكّل أحد المبررات التى ساقها شارون للترويج لسياسة الانفصال أحادى الجانب، عندما قال فى ٢٨/٦/٢٠٠٥م: إن الانسحاب من قطاع غزة ناجم عن حقيقة كونه منطقة لا أمل فى تأمين غالبية يهودية فيه، وواضح للجميع أنه لن يكون جزءاً من دولة إسرائيل فى أى اتفاق للتسوية الدائمة (٢٩).

واعتقد أن أهم تأثيرات تلك الحرب يتعلق بشكل العلاقة التحالفية بين الولايات المتحدة وإسرائيل، ومكانة إسرائيل الإقليمية والدولية، ولعل أوضح ما قيل عن ذلك هو ما كتبه

جدعون ليفى فى ها آرتس (١٣/٨/٢٠٠٦م)؛ حيث كتب: تُوشك إسرائيل أن تخرج من هذه الحرب ليست العليا (. . .)، لكن الهزيمة فى هذه الحرب الصغيرة تُعلّمنا درساً مهماً فى المستقبل، وربما تؤثر علينا، وتدفعنا لتغيير لغة حديثنا مع جيراننا (أى تغيير لغة العنف والقوة)؛ فالبدأ القائل بأن «إسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بالهزيمة فى ميدان المعركة» أصبح فكرة جوفاء؛ فالفشل قد لا يفيد إسرائيل فقط؛ وإنما قد يمنحها درساً مهماً تُعلّمه للأمريكيين مفاده أنه لا داعى لدفع إسرائيل إلى القيام بمغامرات عسكرية (. . .)، ليس من الصعب تخيل ماذا كان سيحدث لو أن حزب الله قد هُزم فى غضون بضعة أيام من الجو، كما وعدنا قادة الجيش الإسرائيلى بغطسة منذ البداية.

لقد كانت الولايات المتحدة تدفعنا نحو صدام عسكرى مع سوريا، ونشوة النصر كان من الممكن أن تغيرنا، وكان الدور القادم سيكون على إيران، وفى غضون ذلك كنا سنتعامل مع الفلسطينيين، والمحصلة النهائية هى محاولة حل القضية الفلسطينية من جذورها عن طريق المحو والقصف والقذف . . . ربما لن يحدث ذلك الآن؛ لأننا اكتشفنا أن قوة الجيش الإسرائيلى محدودة أكثر مما أبلغونا.

ومن المتوقع أن تعمل قدرة الردع الآن فى الاتجاه المعاكس، بمعنى أن تعيد إسرائيل التفكير قبل الإقدام على مغامرة عسكرية أخرى خطيرة (. . .)، وربما يتمثل الإنجاز الذى تحقق من وراء هذه الحرب فى ترسُّخ الفشل فى الوعي الإسرائيلى، وفى إمكانية لجوء إسرائيل إلى طريق جديد أقل عنفاً، وأقل وحشية، وذلك بفضل الفشل فى حرب الأيام الستة (١٩٦٧م). كتب إفرائيم كيشون: «أسف لقد انتصرنا»، وهذه المرة (بعد الحرب على لبنان ٢٠٠٦م) يمكن القول: «حسناً إننا لم نتصر»^(٣٠).

طبعاً ليس هذا هو الاتجاه الوحيد، وهو الأضعف على أى حال، فالاتجاه الأقوى هو الذى يتحدث عن مراجعة أخطاء الجيش فى الحرب على لبنان، وتطوير إستراتيجياته لمواجهة التحديات المستقبلية؛ أى معالجة القصور فى الأداء العسكرى، وليس فى التوجه السياسى العام للدولة؛ فمثلاً اعتبر شيمون بيريز - نائب رئيس الوزراء - فى مقالة نشرتها صحيفة الجارديان البريطانية؛ أن على إسرائيل استخلاص الدروس من الحرب فى لبنان، وإعادة النظر فى مقاربتها للمسائل العسكرية (. . .): لقد اخترنا فى لبنان شكلاً جديداً من أشكال القتال. مؤكداً أن على إسرائيل التركيز على التكنولوجيا الجديدة، خاصة الإنسان الآلى المسير عن بُعد الذى يعمل فى ساحة المعركة. مع الاحتفاظ بقواتها الدفاعية

التقليدية لمواجهة أى هجوم محتمل من جيش كلاسيكى، ويُسَرُّ بيريز الإسرائيليون بتطوير منظومة جديدة من الأسلحة الرادعة، مؤكداً أنه منذ اليوم يمكن القول: إن فى إسرائيل مجموعة من العلماء الممتازين القادرين على إنشاء منظومة أسلحة ووسائل دفاعية حديثة وجديدة: «تكنولوجيا دقيقة وصغيرة - Nano Tech»؛ مما يمكِّن الجيش من إصابة أفراد العدو، وتوفير حماية شخصية لجنوده^(٣١).

أما إسرائيل هارثيل فكتب مقالة ذات عنوان شديد الإيحاء: «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير على اليهود أنفسهم»، وقال فيها: «إخفاقات لبنان قد تكرر نفسها بصورة أشد صعوبة إذا لم تتغير النظرة إلى الأمن القومي، فأغماط التفكير الميدانية التى سيطرت إبان الحرب فى لبنان ستبقى مهيمنة على الوعى والقتال فى الحرب الوجودية التى ستفرض علينا ضد إيران (. . .). هناك إجماع على أن حرب لبنان نشبت متأخرة لسنوات عدة، كل ذلك فى الأساس بسبب قيود الشرعية التى قيدت إسرائيل بها نفسها طوال أكثر من ثلاثة عقود، نحن تنازلنا بأيدينا عن النظرية التى قامت عليها الرؤية الأمنية، والحياة فى إسرائيل: الحق فى الهجوم المضادة المسبقة، فبسبب سيطرة السعى لتوخي النهج السليم سياسياً وعسكرياً أخرجنا من النقاش الحق فى توجيه ضربة مضادة وقائية (هذا تكرر مع مصر عام ١٩٦٩م، وفى حرب يوم الغفران، وفى عدم ضرب حزب الله خلال السنوات الست الماضية).

إن مشاعر عدم الشرعية كانت أحد العوامل من وراء تجنب العملية العسكرية البرية أيضاً فى الحرب الأخيرة على لبنان، وعدم القدرة على هزيمة حزب الله؛ وهذا ما سيحدث أيضاً عندما سنكون على قناعة مثلما حدث عشية حرب الغفران بأن سوريا توشك على الهجوم، هذا ناهيك عن إيران التى قد تبدأ بالهجوم. الجبهة الداخلية هى التى ستدفع الثمن مرة أخرى، وبأحجام ومقاييس لم نعهدها من قبل. من دون التوبة فى هذه القضية المصيرية (أى من دون عودة مُعلنة وخالية من التعقيدات لنظرية الضربة المضادة المسبقة)؛ سيكون الملجأ الأمن لليهود (أى دولة إسرائيل) هو أخطر مكان عليهم، وعلى وجودهم^(٣٢).

ويرى الكاتب رون تيرا أن جوهر الفشل الإسرائيلى فى حرب لبنان يكمن فى الانحلال الذى لحق بالتصورات الإسرائيلية للقوة العسكرية، وكيفية استخدامها؛ حيث ساد التصور بأن التهديد الجوهرى لدولة إسرائيل يأتى من الدول الواقعة فى الدائرة الثانية مثل إيران التى

أشار إليها هذا المقال تحت مصطلح الدائرة غير التقليدية، ومن الفلسطينيين؛ أى الدائرة الداخلية وليس من الدائرة الأولى؛ أى الدائرة التقليدية التى تشمل الدول العربية المحيطة بإسرائيل (وهو يقصد لبنان بالطبع).

ويقول تيرا: لقد ساد الانحلال على ثلاثة مستويات:

١ - الاعتقاد الذى ساد خلال العقد الأخير بأن احتمالية اندلاع الحرب مع الدول المحاذية لإسرائيل متدنية.

٢ - الاعتقاد بأنه إذا اندلعت الحرب فى الدائرة الأولى . . رغم ذلك فإنه يكفى إسرائيل أن تقوم بكبح العدو بواسطة نيران دقيقة (أى قصف مدفعى وجوى)، وأنه لا توجد أهمية للمناطق البرية، وللتدريبات الأرضية فى عمق العدو.

٣ - التبنى المتحمس جدًا لأفكار العمليات الموجهة التى يتبناها الجيش الأمريكى؛ وهى أفكار تهدف لشل الخصم، وليس إبادته من خلال ضرب قياداته ووسائل اتصالاته، وبعض مواقعه المركزية (مثلما فعلت أمريكا فى العراق ٢٠٠٣م)، لكن الأمريكين أنفسهم اعتبروا أن تطبيق هذه الأفكار يفترض توفر ثلاثة شروط:

(أ) أن العدو مبنى كجهاز منظم.

(ب) أن بهذا الجهاز مفترقات حاسمة مثل: مراكز اتصال وإمدادات.

(ج) أن جهاز العدو ومواقعه المركزية الحاسمة معروفة جيداً للطرف المهاجم. (وواضح أن الكاتب لا يرى أن أيًا من هذه الشروط الثلاثة ينطبق على حالة حزب الله).

ويختم بقوله: «من المحتمل أن تكون حرب لبنان ٢٠٠٦م هى فيستام إسرائيل؛ فإسرائيل حاولت مثلما فعلت أمريكا فى فيستام؛ إخضاع تنظيم عصابات بواسطة القصف المدفعى والجوى، من دون مناورات مكثفة، واستخدمت قواتها بصورة متدرجة، بينما انكسرت الرغبة الشعبية فى ظل تزايد عدد المصابين، كما أن الدولة لم تقاوم بنية وعزيمة صافية، ومن خلال الالتزام بالانتصار.

الأبناء السيئة هى أننا فشلنا، أما الأبناء الجيدة فهى أن قواتنا النظامية والاحتياطية هى قوات جيدة وشجاعة وباسلة، وفى هذه المرة تم استخدام هذه القوات بصورة غير صحيحة، لكن إسرائيل نهضت على أصوات صحوة الواقع، وحصلت على فرصة ثانية لتدارس أوضاعها وتحسين قدراتها»^(٣٣).

استناداً إلى ما سبق يمكن توقع ما يشبه «الثورة» في إعادة هيكلة الخطط العسكرية للجيش الصهيوني، وقد كلفت حكومة إيهود أولمرت بالفعل دان ميريدور بتشكيل لجنة تحت رئاسته لتغيير النظريات العسكرية الحربية، التي لم تتغير منذ عهد بن جوريون، وقد بلورت اللجنة مفهوماً جديداً للأمن الإسرائيلي استناداً إلى المرتكزات التالية^(٣٤):

١ - إن تهديد الحرب التقليدية من قبل العرب لم يعد يشكل التهديد المركزي لإسرائيل.

٢ - يجب توظيف طاقات أكبر في مواجهة التهديد النووي الإيراني.

٣ - إن أساليب الردع القديمة لم تعد عملية في مواجهة مقاتلي العصابات.

٤ - هناك ضرورة للتزود بالمزيد من الطائرات بدون طيار من أجل حماية الطيارين.

خاتمة

لدى صانع القرار الإسرائيلي في الفترة المقبلة خيارات متعددة، لكن البيئة الإستراتيجية المحيطة بالدولة تشهد تغييرات حقيقية؛ حيث تزايد عملية التعقيد فيها، ويبدو أن الرؤى المختلفة في كيفية تحقيق الأمن الإسرائيلي ستبقى متصارعة، ولن يُحسم الجدل لصالح أحدها بسرعة.

من أجل ذلك يشكل استخدام الأداة العسكرية خياراً سهلاً أمام صانع القرار، لا سيما أن إستراتيجية الضربات العسكرية المتقطعة ضد الشعب الفلسطيني لها مردود داخلي إسرائيلي إيجابي؛ حيث تُقنع الجمهور بأن قياداته السياسية والعسكرية لا تدخر وسعاً لحماية أمنه الشخصي.

يصعب في الحقيقة توقع ازدهار التيار المنادي بضممان الأمن الإسرائيلي عن طريق إقامة علاقات تعاونية مع المحيط الإقليمي، ويبدو أن انضمام حزب إسرائيل بيتونيا للحكومة أولمرت هو مؤشر كافٍ يقول: إن أبواب السلطة باتت مشرّعة أمام اليمين الإسرائيلي المتطرف.

وحتى لو افترضنا أن قيادات اليمين لا تحظى بالشعبية أو الجماهيرية في ظل تدهور، أو أزمة القيادة في إسرائيل بعد غياب شارون؛ فإن قيادات اليمين هي الأقدر على التجاوب

مع متطلبات المواطن الإسرائيلي الذي ما زال مؤمناً بأن ما تفشل إسرائيل في تحقيقه بالقوة يمكن تحقيقه بالمزيد من القوة.

باختصار تتجه الأمور نحو صدام واسع بين قوات الاحتلال وقوى المقاومة الفلسطينية في غزة، وإسرائيل ستبذل جهدها لإقناع الغرب وأمريكا خصوصاً بالتعامل مع الملف النووي الإيراني، فإن فشلت فلا مناص من أن تأخذ خيارها بيدها، والحصيلة أن عملية التسوية السياسية للصراع العربي/ الإسرائيلي ستدخل إلى مرحلة أخرى من السُّبات العميق، ويبقى خيار القوة الإسرائيلي قائماً إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً.



الهوامش :

- ١ - ورد في : إحسان مرتضى، «الأمن القومي الإسرائيلي بين الثوابت والمتغيرات»، شئون الشرق الأوسط، العدد ١١٥، صيف ٢٠٠٤، ص ٤٨ .
- ٢ - راجع تصريحات إيهود أولمرت في صحيفة الحياة ١٧/١١/٢٠٠٦ .
- ٣ - المصدر السابق.
- ٤ - لمزيد من التفاصيل : صحيفة الحياة ١٨/١١/٢٠٠٦ .
- ٥ - انظر : د. عزمى بشارة، التداعيات على إسرائيل، في : د. أحمد يوسف أحمد وآخرون، الحرب الإسرائيلية على لبنان : التداعيات اللبنانية والإسرائيلية وتأثيراتها العربية والإقليمية والدولية، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦، ص ١٧٦، وأيضاً : سكوت ويلسون، أسلحة بدائية قد تعرض الدولة العبرية لانتفاضة باليتية : حرب الصواريخ . . تحدُّ جديد لإسرائيل، صحيفة الاتحاد، (الإمارات)، ٢٠/٧/٢٠٠٦ . وكذلك : د. هشام الحديدي، «ماذا تعنى نتائج الحرب السادسة»، الأهرام، ١٥/٨/٢٠٠٦ .
- ٦ - أسَّس أفينغور ليرمان حزب «يسرائيل بيتينو» (إسرائيل بيتنا) في عام ١٩٩٩، وحصل الحزب في انتخابات الكنيست الخامسة عشرة على ٤ مقاعد، ثم حصل في الانتخابات التالية عام ٢٠٠٣ على ٧ مقاعد ضمن كتلة الاتحاد القومي . وبفضل دهاء ليرمان خاض الحزب الانتخابات السابعة عشرة للكنيست في مارس ٢٠٠٦ منفرداً بدون الدخول في كتلة أخرى، فحصل على ١١ مقعداً؛ حيث كان للتصويت الاجتماعي هنا أثر ملحوظ؛ حيث ذهبت أغلب أصوات اليهود الروس لحزب ليرمان، وهم يمثلون ١٦,٥٪ من مجموع أصحاب حق الاقتراع في إسرائيل . راجع : ريمون ماهر كامل، معسكر اليمين . . تراجع الليكود وصعود كاديما، في : د. عماد جاد (محرر)، انتخابات الكنيست السابعة عشرة : تقدم معسكر الوسط، القاهرة مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٦، ص ١٢١ .
- ٧ - ينبغي الإشارة إلى أن بعض الدراسات العربية الجادة كانت قد أطلقت على انتفاضة الأقصى «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة»، خصوصاً بعد اجتياح قوات الاحتلال للضفة الغربية وأواخر مارس ٢٠٠٢، لكن هذا المصطلح لم ينتشر على أى حال . راجع على سبيل المثال : أحمد إبراهيم محمود، «الحرب العربية/ الإسرائيلية السادسة : الإستراتيجيات العسكرية للمواجهة بين الفلسطينيين وإسرائيل»، في : د. عماد جاد (محرر)، انتفاضة الأقصى : طموح الفكرة وأزمة الإدارة، (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢)، ص ص ٢٠٥ - ٢٩٢ .
- ٨ - أصدر الكاتب البريطاني مارتين وولاكوت كتاباً عنوانه «ما بعد السويس - After Suez» قارن فيه بين تورط بريطانيا في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وبين تورط الولايات المتحدة وبريطانيا في غزو العراق ٢٠٠٣، وخلص إلى أن عدم نجاح واشنطن ولندن في العراق سيؤدى إلى تغيير جذرى في الرؤى الإستراتيجية للتعامل مع العالم العربى فيما بعد العراق . راجع أحمد أصفهاني، «هل تساعدنا حرب السويس على فهم نتائج غزو العراق»، صحيفة الحياة، ٢٤/١١/٢٠٠٦ .
- ٩ - د. عزمى بشارة، مصدر سابق، ص ١٧٥ .
- ١٠ - راجع في هذا المعنى : د. جمال حمدان، ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية، سلسلة كتاب الهلال، (القاهرة : دار الهلال، أكتوبر ١٩٩٧، العدد ٥٦٢)، ص ص ٤١٦ - ٤٢٠ .

- ١١ - انظر المصدر السابق، ص ٢٢٠ .
- ١٢ - راجع . موجز يوميات الوحدة العربية عن شهر آب/ أغسطس ٢٠٠٦، المستقبل العربي، العدد ٣٣٢، أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٦، ص ٢٠٨، والرقم ورد في صحيفة السفير ٢٠٠٦/٨/١٣ .
- (**) هذه الأوصاف للمجتمع الإسرائيلي وردت على لسان العاملين الإسرائيليين يسرائيل أومان وأهارون تشاخوفر الفائزين بجائزة نوبل لعام ٢٠٠٦م في حديث لهما مع صحيفة «يديعوت أحرونوت» . راجع صحيفة الحياة ٢٨/١٠/٢٠٠٦م، ص ٤، وأيضاً: رشيد قويدر، إسرائيل وتداعيات إخفاق القوة، صحيفة الحياة ٤/١١/٢٠٠٦م، ص ١٠ .
- ١٣ - راجع تصريحات بيريز في الحياة، ٢٦/٧/٢٠٠٦ .
- ١٤ - بتصرف عن: جدعون ليفي، حرب سلامة الجيش الإسرائيلي، هآرتس ١٦/٧/٢٠٠٦، مترجم في: أحمد أبو هدة، «٣٣ يوم حرب على لبنان: أطول الحروب وأكثرها فشلاً وتكلفة»، القاهرة، مركز الدراسات الفلسطينية، توزيع مكتبة مدبولي، ٢٠٠٧، ص ١٤١ - ١٤٣ .
- ١٥ - باروخ كيملينغ، «حرب ثقافات»، هآرتس ٧/٦/١٩٩٦ مترجم في: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٢٧، صيف ١٩٩٦، ١٠٥ - ١٠٧ . وحول محاولة اختراع هوية إسرائيلية موحدة انظر:
- Society and the ,The Invention and Decline of Israeliness: State Baruch Kimmerling ,Berkely and los Angeles: University of California Press ,Military 2001.
- ١٦ - راجع: إلياس شوفاني، «مؤتمرات هيرتسليا الأربعة السابعة»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٦٠/٦١، خريف ٢٠٠٤/ شتاء ٢٠٠٥، ص ١٤٩ .
- ١٧ - انظر: محمد وقيف، «الصحافة الإسرائيلية»، الاتحاد (الإمارات)، ٩/٨/٢٠٠٦ .
- ١٨ - راجع صحيفة الحياة ٢٩/٩/٢٠٠٦ .
- ١٩ - عوزي بنزيمان، «عرب إسرائيل يتخطون الحدود»، هآرتس ٢٠/٩/٢٠٠٦، مترجم في: مختارات إسرائيلية، العدد ١٤٢، أكتوبر، ص ٥٨ - ٥٩ .
- ٢٠ - انظر: دان هوروفيتس، الثابت والمتغير في النظرية الأمنية الإسرائيلية، في: أ. إيلون وآخرون، الثابت والمتغير في الاستراتيجية الإسرائيلية، ترجمة: المنار للصحافة والنشر المحدودة، نيقوسيا، ١٩٨٦، ص ٣٣ - ٣٤ .
- ٢١ - راجع على سبيل المثال: صالح النعامي، حرب لبنان . وسقوط نظرية الأمن الإسرائيلي، موقع الإسلام اليوم، في ١٥/٨/٢٠٠٦م على الرابط:
- www.Islamtoday.net/print.cfm?artid=7776.
- ٢٢ - بتصرف عن: د. عزمى بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م)، ص ٩٢ .
- ٢٣ - المصدر السابق، ص ٩٤ .
- ٢٤ - راجع: دان هوروفيتس، مصدر سابق، ص ٣٥ - ٣٧ .
- ٢٥ - نقلاً عن الدراسة القيمة للدكتور هيثم الكيلاني وعنوانها: دراسة في مستقبل القوة العسكرية الإسرائيلية، في: د. أحمد صدقي الدجاني (منسق)، الحركة الصهيونية والصراع العربي/ الإسرائيلي في مائة عام: دروس الماضي وآفاق المستقبل . (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٢ - ١٥٣).

- ٢٦- انظر: د. حسن برارى، أمن إسرائيل: صراعات الأيديولوجيا والسياسة، كراسات إستراتيجية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، العدد ١٤٣، سبتمبر ٢٠٠٤م، ص ١٥ - ٢١ .
- ٢٧- لمزيد من التفاصيل راجع: د. إبراهيم أبو جابر، «الانعكاسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للانتفاضة على إسرائيل»، مجلة دراسات شرق أوسطية، (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط)، العدد ١٤، السنة الخامسة، شتاء ٢٠٠٠ / ٢٠٠١، ص ٣٠ .
- ٢٨- إيتان هابر، «زيادة القلق الإسرائيلي من قدرة إيران النووية بعد إجراء كوريا الشمالية لتجربتها»، يديعوت أحرونوت، ١٠/١٠/٢٠٠٦م، مترجم في صحيفة القدس العربى، ١١/١٠/٢٠٠٦م .
- ٢٩- انظر: توفيق المدنى، مفاجأة عجز القوة الصهيونية، حوار العرب، (بيروت: مؤسسة الفكر العربى)، العدد ٢٣، أكتوبر ٢٠٠٦م، السنة الثانية، ص ٨٩، وحول تصريح شارون راجع: صحيفة الحياة ٢٩/٦/٢٠٠٥م، ص ١ .
- ٣٠- جدعون ليفى، «بفضل الفشل»، هآرتس ١٣/٨/٢٠٠٦م، مترجم فى: مختارات إسرائيلية، العدد ١٤١، سبتمبر ٢٠٠٦، ص ٤٦- ٦٥ .
- ٣١- نقلاً عن: نواف الزرو، تساؤلات على الأجندة الحربية الإسرائيلية بعد الهزيمة، الجزيرة نت، الأحد ٢٤/٩/٢٠٠٦م على الرابط:
- www.aljazeera.net/NR/exeres/BAEDSFEA-C828-4F89-99F9-DDB98AA9C439.htm.
- ٣٢- نقلاً عن: إسرائيل هرتيل، «إسرائيل بحاجة لإستراتيجية الضربات الاستباقية قبل أن تتحول إلى مكان خطير لليهود أنفسهم: بقاء الجنرالات الذين خسروا الحرب فى مناصبهم يعنى مواصلة الإخفاقات»، هآرتس ٢١/٩/٢٠٠٦م، مترجم فى: القدس العربى، ٢٢/٩/٢٠٠٦م .
- ٣٣- نقلاً عن: رون تيرا، «إسرائيل فشلت بسبب إستراتيجيتها القديمة، وحرب لبنان الثانية هى فيتنام إسرائيل»، هآرتس ٨/٩/٢٠٠٦م، مترجم فى القدس العربى، ٩/٩/٢٠٠٦م .
- ٣٤- راجع: نواف الزرو، مصدر سابق.
